

المركز الجامعي أحمد بن يحيى الوشكري
تيسيلت

المعيار

في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية والثقافية

مجلة دورية محكمة

إصدارات المركز الجامعي تيسيلت

المجلد العاشر العدد الأول مارس 2019

ISSN 2170-0931

EISSN 2602-6376

شارك في هذا العدد

د. العربي بومسحة، د. علاوة كوسة، أ. مقدم رشيد،

د. مرسي رشيد، د. لعوي يونس،

د. بوخالفة إبراهيم، د. بشير دردار، د. مجاهد مصطفى،

د. سي العربي شارف

المعيار

المعيار في الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة فصلية أكاديمية دولية محكمة مفهرسة



المركز الجامعي أحمد بن يحيى الوشاشي قيسميلة - الجزائر -

شروط النشر وضوابطه

- المعيار مجلة علمية محكمة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية والعلمية والأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.
- دورية تصدر مرتين في السنة عن المركز الجامعي بتيسمسيلت. الجزائر.
- تُقبل البحوث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.
- ضرورة وجود مختصر أو تمهيد للمقال سواء باللغة العربية أو الأجنبية.
- تخضع البحوث والدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.
- تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.
- تُقدم البحوث والدراسات مكتوبة في ورقة على مقاس (21/29.7) بهامش 3 سنتيم عن يمين الصفحة و1.5 عن يسارها وهامش 2 سنتيم عن أعلى الصفحة وأسفلها.
- تتم الكتابة بخط (Traditional Arabic) حجم (16)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (14).
- تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة الفرنسية بخط (Times new roman) حجم (12)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (10).
- تكون الهوامش والإحالات في آخر الدراسة ولا يستعمل فيها التهميش الأوتوماتيكي.
- يُقدم البحث في قرص مضغوط ونسخة ورقية مطبوعة.
- لا يقل حجم البحث عن 10 صفحات ولا تتجاوز 15 صفحة.
- الأعمال المقدمة لا تُردّ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسئولة عن آراء وأحكام الكتاب. كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية وفنية.

المدير المسئول عن النشر

أ. د. عيساني امحمد.

المعيار

المجلد العاشر العدد 01 مارس 2019

مجلة علمية محكمة تصدر عن المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي

تيسمسيلت - الجزائر

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

عن طريق البوابة الإلكترونية www.asjp.cerist.dz

المركز الجامعي : أحمد بن يحيى الونشريسي تيسمسيلت . الجزائر.

الهاتف/الفاكس : 046573188

www.cuniv.tissemsilt.dz

البريد الإلكتروني:

EISSN 2602-6376

ISSN 2170-0931

رئيس المجلة:

أ. د. دحدوح عبد القادر

المدير المسؤول عن النشر:

د. عيساني محمد

رئيس التحرير:

د. مرسي رشيد.

نائبا رئيس التحرير:

د. بشير دردار، د. واضح أحمد الأمين

هيئة التحرير:

د. فايد محمد، د. عطار خالد، د. صالح ريوح، د. سعاديدة الهواري، د. بوعرعة محمد، د. مصايح محمد، د. بن راجح خير الدين، د. بوسيف إساعيل،

د. يونس محمد

الهيئة العلمية:

من المركز الجامعي تيسمسيلت: د. بن فريجة الجلالي، د. بوركبة بختة، د. أحمد واضح أمين، د. تواتي خالد، د. ريوح صالح، د. غربي بكلي، د. شريف سعاد، د. يعقوبي قدوية، د. قاسم قادة، د. مرسل مسعودة، د. بن علي خلف الله، د. بلصايح خالد، د. رزايقية محمود، من جامعة ابن خلدون تيارت: أ. د. بوزيان أحمد، من جامعة صفاقس، تونس: أ. د. عبد الحميد عبد الواحد، د. بوكري بن عبد الكريم، من جامعة المنصورة، مصر: د. محمد كمال سرحان، من جامعة طرابلس، ليبيا: د. أحمد شرراش، من الجامعة الأردنية، الأردن: أ. د. صادق الحايك، من جامعة الجزائر 03، الجزائر: د. فتحي بلغول، من جامعة لمين دباغين، سطيف: أ. د. بوطالي بن جدو، من جامعة وهران: أ. د. مختار حبار، من جامعة سيدي بلعباس: أ. د. محمد بلوحي، من جامعة سعيدة: د. عبد القادر راجحي، من جامعة تلمسان: أ. د. محمد عباس، أ. د. عبد الجليل مرتاض، من جامعة تيزي وزو: أ. د. مصطفى درواش، من جامعة مستغانم: د. منصور بن لكحل، من جامعة زيان عاشور، الجلفة: د. حربي سليم، من جامعة حسينية بن بوعلي، شلف: أ. د. حفصاوي بن يوسف، أ. د. موسى فريد، د. مخلوف أوسماعيل،

UNIVERSITTE PAUL SABATIER TOULOUZE 03. FRANCE: CRISTINE Mensson.

كلمة العدد

تواصل المجلة في هذا العدد السير في خطها الذي رسمته منذ بداية انطلاقها، رامية إلى تجميع البحوث والجهود العلمية الجادة والرصينة، وأن تكون منبراً لإبرازها والرفق بها. وفي هذه الكلمة نشير إلى عدد من المواضيع التي تم اعتمادها في هذا العدد والتي تمس بالواقع والراهن المعيش، نذكر منها موضوعاً عن علاقة النحو بالتراث العربي، وكذا موضوع تحليل الثورة التحريرية في القصيدة الشعرية، وموضوعات نقدية، وترجمة لمواضيع أخرى، وهي عينة ذكرناها على سبيل التمثيل فقط في معرض إشارتنا إلى اهتمام المجلة بالبحوث التي تتناول القضايا الآتية في مختلف المجالات، وهي محاولة لمسيرة الواقع الراهن.

المدير المسئول عن النشر

أ. د. عيساني امحمد

فهرس ؟؟لم؟ض؟ عا ؟

- أ. د. عيساني امحمد :..... ص /ث
- كلمة العدد.
- د. العربي بومسحة :..... ص 01
- تداولية أسلوب النداء في التراث التحوي العربي مقارنة سياقية من خلال نظرية الأفعال الكلامية.
- د. علاوة كوسة :..... ص 16
- الثورة التحريرية في القصيدة الشعبية الجزائرية المعاصرة.
- أ. مقدم رشيد :..... ص 28
- البعد الإصلاحي في جريدة البلاغ الجزائري 1926-1948 الجانب الديني والاجتماعي.
- د. مرسي رشيد:..... ص 43
- البطولة في الأدب الشعبي الجزائري - المغازي أنموذجا
- د. لعويي يونس :..... ص 54
- الانحرافات السلوكية للشباب الجامعي، الأسباب و المظاهر.
- د. بوخالفة إبراهيم :..... ص 69
- الأنوثة المضطهدة.
- ماريون كاريل وأوزوالد ديكر، ترجمة: د. بشير دردار :..... ص 83
- استدرآكات لضبط مفهوم التعدد الصوتي.
- د. مجاهد مصطفى / د. سي العربي شارف:..... ص 100
- أثر برنامج تعليمي مقترح باستخدام أسلوب التطبيق بالتوجيه الذاقي في تحسين الأداء الفني لمهارة الإعداد بالكرة الطائرة لتلاميذ المرحلة الثانوية

البطولة في الأدب الشعبي الجزائري المغازي أنموذجا

الدكتور: مرسى رشيد.

المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي - تيسمسيلت

ملخص:

ظل الأدب الشعبي يعاني الإقصاء، رغم ما يزر به من جماليات تعكس قوة تفاعله مع التحولات الاجتماعية، وقدرته على التعبير عن أشواق الإنسان وآماله في مختلف تجلياتها، وكان أدب المغازي من أبرز فنونه التي حملت قيم التحرر من خلال إعادة صياغة القصص الإسلامي وفق رؤية فنية اختزنت طموحات وتطلعات الإنسان العربي، إلى الانعتاق من واقع مر عبر إحياء أجداد الماضي التي تجسدت في بطولات الإمام علي وهو يصارع الشر. الكلمات المفتاحية: أدب المغازي، الأدب الشعبي، القصص الإسلامي، علي، الانعتاق.

Résumé : la littérature populaire est restée exclue des études académiques, malgré sa teneur en valeurs esthétiques, qui reflètent son interaction avec les mutations sociales, et sa capacité d'exprimer les aspirations de l'homme dans tous ses états. La littérature épique fut l'un des genres qui ont véhiculé les valeurs d'émancipations, à travers la reformulation des récits islamiques, selon des visions artistiques qui adoptent les aspirations de l'homme arabe épris de l'émancipation, qui ne saurait se réaliser qu'au moyen de la ressuscitation des gloires du passé. L'héroïsme de l'imam Ali qui a symbolisé dans son sa lutte contre les forces du mal en fut le thème le plus illustratif

Mots clés : littérature populaire, littérature, valeurs esthétiques

واقع الأدب الشعبي.

يقتضي البحث في الأدب الشعبي التسليح بآليات نقدية تمكن من اكتشاف ما ينطوي عليه من قيم جمالية، ظلت محجوبة بسبب سياسة الإقصاء والتهميش التي فرضتها المؤسسة الرسمية على هذا النوع من الأدب، إذ أعتبر وعلى مدى فترة طويلة ضربا من اللغو، ولم يتمكن من الانعتاق من هذا الحصار إلا بعد تطور الدراسات الحديثة المتصلة بالأنثروبولوجيا والأساطير التي اتجهت إلى البحث في المهمش والمقصى، الذي ظل يمارس دوره بعيدا عن الرقابة والسلطة، مما أتاح له التمازج في أشكال

مختلفة ظلت تتطور متناغمة مع مختلف التحولات التي مرت بها المجتمعات، و من هنا كان من الضروري البحث في هذه الأشكال ضمن سياقاتها الثقافية المتعلقة بدورها بوقائع اجتماعية و سياسية للتمكن من تقديم قراءة مغايرة تساعد على اكتشاف ما يقبع في هذه الأشكال الأدبية من قيم جمالية، و رؤى إبداعية، ظلت محجوبة انطلاقاً من التمايز الذي كرسه الثقافة العالمية (الثقافة الرسمية) و التي نُظر إليها باعتبارها التعبير الوحيد الذي يحوز الشرعية انطلاقاً من ارتباطها بالمؤسسة.

ويتضح ذلك جلياً في موقع الأدب الشعبي العربي في الحضارة العربية، إذ لم يصلنا - وعبر عصور متلاحقة - إلا الأدب الرسمي أي ذلك الأدب المكتوب باللغة العربية الفصحى، أما الأدب الذي كان ينتجه المجتمع بطريقته الخاصة فإنه لم يصلنا منه إلا القليل، وحتى هذا القليل لم يحظ بالاعتراف، فقصص ألف ليلة وليلة - التي كانت نتاجاً أدبياً راقياً ساهمت في هشرائح شعبية وعلى فترات زمنية - لم تحظ بأيّة شرعية إلا في العصر الحديث بعد تطور الدراسات الأدبية وانفتاحها على مختلف الممارسات الإبداعية، و الحال نفسه مع أعمال أخرى، كالسيرة الهلالية والشاطر حسن ودليله والزيق وغيرها، وهي أعمال ظلت تتداولها الطبقات الشعبية و تصب عبرها خبراتها الحياتية ومعاناتها و تطبعها بطابع جمالي هو في الأخير محصلة رؤية تفاعلت مع وقائع اجتماعية وحضارية، و الأكيد أن الكثير من الأعمال لم تتمكن من تجاوز إطارها الضيق فماتت في مهدها، وفي هذا الصدد يبرر أحد الباحثين تلك المواقف السلبية من الأدب الشعبي/ مسجلة في آراء بعض الباحثين الغربيين الذين بذلوا مجهودات كبيرة من أجل النيل من "خطاب الأدب الشعبي العربي، تارة بوسم العقلية العربية بضعف الخيال وجمود العواطف من مثل مانراه عند أرنست رينان (Ernest Renan) (1823-1892) وآرثر غوبينيو (Gobineau Arthure) (1816-1882) وهوسطن تشامبرلين (Austen Chamberlain) (1863-1934) وبراون أوليري (B. O'leary)، وتارة أخرى عن طريق إثارة عواصف من النقد والتجريح تحط من قيمة موضوعات هذا الخطاب وأساليبه، متهمه إياه بالبداءة والفقر والمحدودية وغيرها من الصفات السلبية التي تهدف في الحقيقة إلى إدانة الإنسان العربي بحد ذاته، وتجريده من مواهبه في الإبداع والرقى الفكري والاجتماعي⁽¹⁾ ولم يكن الأدب الشعبي الجزائري استثناء من هذه القاعدة إذ لم يصلنا منه إلا القليل بالقياس إلى التنوع الثقافي الذي عرفته الجزائر منذ القدم.

ولعل أقدم ما وصلنا من أشعار شعبية يعود إلى القرن السابع عشر، هذا إضافة إلى الحكاية و الأمثال و القصص الخرافية التي ظلت تتسلل و تتحول حسب ما تمليه طبيعة المجتمع، وما كان يطرأ عليه من مستجدات سواء على المستوى السياسي أو على المستوى الاجتماعي.

وقد حظيت هذه الأنواع الأدبية باهتمام الدارسين الجزائريين المعاصرين بعد أن فتحت الجامعة الجزائرية أبوابها للأدب الشعبي وقد استفاد هؤلاء الباحثون من بعض الدراسات التي قام بها باحثون غربيون إلا أن هذه الدراسات (الغربية) ارتبطت بالهيمنة الاستعمارية التي كانت في حاجة إلى هذا النوع من الدراسات لتوظيفها في فهم الواقع الجزائري من أجل التمكين للاستعمار.

ولهذا كان لازماً على الباحثين المتخصصين أن يضطلعوا ليس بمهمة البحث والكشف والتحليل فقط، وإنما بمهمة التصحيح وإعادة النظر في التفسيرات الموروثة عن النظرة الاستشراقية، ومع ذلك مازال هذا الأدب في حاجة إلى بحث وإعادة اكتشاف، فبعض فنونه مازالت إلى يومنا هذا بعيدة عن التناول العميق والدراسة الشاملة، ولعل من أهم هذه الفنون التي تنتظر الدراسة والتعمق أدب المغازي الذي ظهر في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر مرتبطاً بالبطولات الإسلامية متخذاً لنفسه أساليب وأشكالاً، كان أرقاها الشعر الذي صاغ من خلاله الشعراء مجموعة القصص الشائعة والمتداولة عن بطولات الإمام علي، قصائد وجدت لنفسها القدرة على الانتشار والتأثير عبر الحلقة التي كانت تضطلع بدور ثقافي فعال في حقبة من تاريخ الجزائر.

ولقد تنبه المستشرقون لهذا النوع من الأدب و سعوا إلى تقديم تفسيرات لظهوره ولكن هذه التفسيرات جاءت مرتبطة بالنظرة الاستعمارية حيث لم يروا في قصص البطولات إلا تعويضاً عن الفشل والخيبة، غير منتبهين لما حمله هذا الأدب من بذور ثورية مستلهمة من أجداد الإسلام الذي ظل يشكل الحصن المنيع للجزائريين و هم يواجهون المهجمة الاستعمارية.

وقد كانت شخصية الإمام علي رضي الله عنه حاضرة في أدب المغازي باعتباره البطل النموذجي عند المسلمين وعليه لا بد من الوقوف عند هذه الشخصية واستجلاء ملامحها البطولية عن طريق فك الارتباط بين الجانب التاريخي والأبعاد الأسطورية

بطولات الإمام علي بين التاريخ والأسطورة

الإمام علي(رضي) من أبرز الشخصيات الإسلامية وأكثرها حضوراً سواء على مستوى التاريخ الفعلي أو على مستوى المخيال، حيث ارتبطت هذه الشخصية بأجداد الإسلام وبطولاته.

وقد انفرد الإمام علي بمكانة استثنائية تجاوزت البعد التاريخي الذي يشترك فيه مع كبار الصحابة من السابقين الأولين إلى عالم الميثولوجيا. إذ تحولت شخصيته إلى مسرح رحب من التأويلات الدينية، والقراءات الماورائية انطلاقاً من ملابس تاريخية اقترنت بإشكالية الخلافة، وما شاب هذا الصراع من خلافات تطوّرت لتعبّر عن

نفسها في بروز تيارات انطلقت من السياسة - في بداية أمرها- لتتلور بعد ذلك في معتقدات دينية، تجاذبتها الأفكار لتصل بالرجل إلى حدّ التآليه. وهذا ما تجلّى عند بعض الفرق الشيعية المتطرّفة.

كانت شخصية الإمام علي-رضي الله عنه- وحياته وحروبه، بين أنصاره أو مع خصومه- مصدراً ثراً لما نُسج حوله من آيات التقديس، وما نُسب إليه من خوارق في مضممار البطولة.

والحقيقة أنّ كتب التاريخ الإسلامي لا تكاد تختلف في المحطات الكبرى لحياته الحافلة، حيث يتفق المؤرخون على نسبه ومولده. فهو "عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ويكنّى أبا الحسن، وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف⁽⁰²⁾. ولد بعد النبي(ص) بثلاثين سنة 601م، أسلم وعمره عشر سنين.

ومن المعروف أنّ الانتماءات العقدية بين الشيعة والسنة أدت إلى خلافات واجتهادات للتفاضل بين علي وأبي بكر، خاصّة في مسألة الأحقية بالخلافة، ولعلّ مكانة علي وعلوّ منزلته في الإسلام وبين المسلمين يرجع لعدّة أسباب : أهمها أنه تربّى في بيت النبوة، ونومه في فراش الرسول(ص) ليلة هجرته وعمره لا يتجاوز الثانية عشرة سنة، وزواجه من فاطمة الزهراء.

كما أنّ مكانته من الرسول(ص) كانت مثار خلاف كبير بين السّنة والشيعة ؛ فبينما يرى أهل السّنة أنّ تربيته في الفضل يأتي بعد أبي بكر وعمر وعثمان، يرى الشيعة خلاف ذلك، مستندين إلى بعض الأحاديث النبوية وبعض المواقف، والتي يتأوّلونها حسب مقتضيات القناعات الراسخة عندهم ومثال ذلك الحديث النبوي الشريف الذي يقول فيه الرسول(ص) : " مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ⁽⁰³⁾.

وقد رأى الشيعة في هذا الحديث الشريف ترشيحاً لعلّي لتوليّ الأمر بعد النبي(ص)، وأنّ بقية المسلمين لم يوافقوهم على ذلك مستندين إلى حديث آخر ألقاه النبي(ص) في آخر لحظة من حياته⁽⁰⁴⁾.

وهناك حديث آخر ورد في صحيح مسلم يتعلّق باستخلاف علي-رضي الله عنه- على المدينة أثناء خروج النبي(ص) إلى تبوك السنة التاسعة للهجرة، قال عليّ : " يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان. فقال النبي : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي⁽⁰⁵⁾. ويعتبر هذا الحديث من أهمّ المستندات التي بنى عليها الشيعة فكرة الولاية، إلّا أنّ أهل السنة يرفضون هذا التخريج، إذ يقدّم النووي تأويلاً مفاده أنّ " الحديث لا حجّة فيه لأحد منهم بل فيه إثبات فضيلة لعلّي، ولا تعرّض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده؛ لأنّ النبي(ص) إنّما قال ذلك الكلام لعلّي حين استخلفه في المدينة، ويؤيد هذا أنّ هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى⁽⁰⁶⁾.

ولكن هذه التأويلات والتأويلات المضادة لم تنه المشكلة بين الفريقين. ومع ذلك يتفق الفريقان على عظمة شخصية الرجل، الذي كان زاهداً ورعاً، فـ "اتخذهُ المتصوّفُ مرجعهم ورأسهم في التصوّف والزهد"⁽⁰⁷⁾. وقد حفظت لنا كتبُ التاريخ بعضاً من هذا التقشف والزهد، فقد كان معدوداً من طبقة الفقراء، وكان يعمل بيديه بأجر زهيد، وكان يربط الحجر على بطنه من الجوع⁽⁰⁸⁾.

ولأحمد بن تيمية رأيٌ آخر، حيث يتحدث في كتابه (منهاج السنة) عن عقار وضياح تركها عليّ-رضي الله عنه- لأولاده، ما كانوا به أغنياء قومهم⁽⁰⁹⁾. إلّا أنّ هذا الرأي لا يؤخذ على علّته لأسباب تتعلق بموقفه من التشيع. أمّا الأمر الثاني، وهو المتعلّق ببطولاته وشجاعته، فقد كان محلّ اتفاق بين السنّة والشيعة على تباين في التقديرات. حيث خلّفت لنا كتبُ التاريخ الكثير من المواقف البطولية التي أبلى فيها عليّ-رضي الله عنه- بلاءً حسناً في مختلف الغزوات، ومن أشهر مواقفه البطولية ما رواه ابنُ كثير بقوله: "وقد قاتل يوم أحد قتالا شديداً، وقتل خلقاً كثيراً من المشركين، وغسل عن وجه النبي(ص) الدم الذي كان أصابه من الجراح... وشهد يوم الخندق فقتل يومئذ فارس العرب، وأحد شجعانهم المشاهير عمرو بن عبد ودّ العامري. وشهد خيبر، وكانت به مواقف هائلة، ومشاهد طائلة... ففتح الله على يديه، وقتل مرحبا اليهودي⁽¹⁰⁾.

ولم يكتفِ ابنُ كثير بهذا بل تحدّث عن قوته الخارقة، عندما تترّس بباب من أبواب الحصن، وقد بلغ من ضخامة هذا الباب أن قال أحدُ الصحابة: "فلقد رأيتني أنا وسبعة معي نجتهد أن نقلب ذلك الباب على ظهره يوم خيبر فلم نستطع⁽¹¹⁾.

وإلى جانب هذه البسالة التي أظهرها عليّ في حرب الكفار، حفظت له بعضُ كتب التاريخ مواقف مشهودة في حرب خصومه؛ منها ما ذكره المسعودي يصف فيها أحد صولاته في معركة صفين عندما هجم على جيش معاوية، يقول: "وحمل وحملوا(الصحابة) معه حملة رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صفٌ إلا انتقض، وأهدموا كلّ ما أتوا عليه، حتى أتوا إلى قبة معاوية، وعليّ لا يمرّ بفارس إلّا قدّه، وهو يقول:

أضربهم ولا أرى معاوية الأخرز العين العظيم الحاوية

تھوي به في النار أمّ هاوية⁽¹²⁾.

ولكن الوجدان الإسلامي لم يتعلّق إلّا بتلك البطولات التي خاضها مع رسول الله(ص)، و"إذا شئنا الكلام على بطولة علي، فيجب البحث عنها هنا لا في مكان آخر، والأسطورة تتفهّم ذلك تماماً"⁽¹³⁾ عندما تقدّم علياً بوصفه الفائق المقدام للكفار، وليس بوصفه فائق الجمهرة الحربية الرهيبة من أهل الشام⁽¹⁴⁾.

وهذا ما تجسّد بشكل واضح في الأساطير الشعبية التي لم تستعد أيّ صراع مع خصومه السياسيين، بل راحت تنسج حكاياها وتبني ملاحمها من تلك البطولات التي تحققت في قتال الكفار تحت راية الرسول(ص). لقد

خرجت هذه البطولات من دائرة التاريخ لتدخل عالم الأساطير، ويعاد نسجها في ضوء تعطش المسلمين للبطل المنقذ، ولذلك تركّز معظم القصص الخارقة على تدخّل علي-رضي الله عنه- في اللحظة الحاسمة لينقذ المسلمين من هلاك محقق على يد قوى مرعبة. وهنا يشتغل الخيال الحر في خلق العوالم التي لا تخضع لما نعرفه من قوانين عالمنا الطبيعي، والاستجابة بذلك لحاجة الإنسان الحميمية في التفسير والتعويض⁽¹⁵⁾.

وهكذا تجاوز الخيال الواقع، فخلق فضاءً أسطورياً للمعارك، أو اصبغ على الفضاء الواقعي أبعاداً أسطورية. وهنا نجد أنفسنا أمام مواقع مرتبطة بأحداث تاريخية أخرجها الخيال من واقعيتها، وأضفى عليها أبعاداً جديدة (كـ غزوة الأحزاب، وقصة فتح خيبر،، وفتح مكة) المسمى : الدرة المكللة، أو أماكن لمواقع مختلفة لا أصل لها في التاريخ، كـ غزوة السيستان، وغزوة بئر ذات العلم، وقصة الإمام علي وخطبة، وقصة فتوح اليمن الكبرى الشهير برأس الغول".

والجامع بين كل هذه القصص هو أنها تقوم على الخوارق التي يأتيها الإمام علي وهو يواجه قوى الشر. كما يبدو أن هذه القصص عرفت منذ وقت بعيد، حيث يشير ابن كثير إليها في معرض نقده للمبالغات التي ارتبطت ببطولات علي -كرم الله وجهه-، يقول: "وما يذكره كثير من القصص في مقاتلة الجن في بئر ذات العلم- وهي بئر قريبة من الجحفة- فلا أصل له، وهو من وضع الجهلة من الإخباريين⁽¹⁶⁾".

وما كان ابن كثير المحدث المحافظ، والمؤرخ الملتزم أن يقف على طبيعة هذا النوع من القصص الذي ترعرع في بيئات إسلامية، معبرا عن حاجة المسلمين في تلك اللحظات العصبية إلى بطل منقذ يأتي من الخوارق ما يمكنه من سحق قوى الشر التي كانت تحدق به. والدارس لهذه القصص يقف على توظيف فكرة الخلاص في البنية السردية. وهكذا يتفنن القاص في خلق صور البطولة الخارقة التي تفتك بقوى الظلم، وكأنه بذلك يحقق رغبة في إزاحة الظلم الواقع عليه وعلى مجتمعه في كثير من لحظات التاريخ. وهماهي صورة من هذه الصور التي يظهر عليها الإمام علي وهو يفتك بالكفار.

يقول: " فحمل الإمام على المشركين، وشوش صفوفهم، وقتل أبطالهم، وأدارهم كدورات الرمح، وصار يقلد الأبدان ويحصد الرؤوس ويسوق فيهم سيفه كما يسوق الراعي غنمه، وقد اشتد غضبه عليهم وهم ينهزمون من لقائع بين يديه يمينا وشمالا، والرؤوس تتناثر من سيفه كأنها المطر، وصاح فيهم صيحة عظيمة ارتجت منها الأرض وتغيرت ألوان المشركين⁽¹⁷⁾".

تجليات البطولة في أدب المغازي

لقد كانت هذه البطولات نواة لملاحم إسلامية شكلت أدب المغازي متجاوزة الأدب الرسمي الذي خلا من الفن الملحمي كما تجلّى بخصائصه عند الغربيين انطلاقاً من العاملين التأسيسيين المتمثلين في ملحمتي الإلياذة والأوديسا، واللّتين انطق منهما أرسطو للتنظير لهذا الفن، ولكن هذا لا يعني أن الملحمة ارتبطت فقط باليونانيين، فهناك ملاحم قديمة سبقت بقرون الأدب اليوناني، إلا أن هاتين الملحمتين ظلّتا تمارسان حضورهما الطّاغي على الآداب العالمية.

وعلى الرغم من اتصال العرب بالثقافات الأجنبية، إلا أنهم لم يفكروا في استيراد فنون أدبية، انطلاقاً من قناعاتهم بأن أدبهم الذي تحمله اللغة العربية يمتلك من المقومات الفنية، ما يجعله في غنى عن أي أدب، والمتصفح لكتب الأدب يعثر على الكثير من الآراء التي تبالغ في الإعلاء من شأن الأدب العربي إلى حد القول بأن فضيلة الشعر مقصورة على العرب كما يرى الجاحظ، ولكن خلو الأدب العربي الرسمي (إن جاز هذا التعبير) من الملحمة بخصائصها الغربية لم يمنع تسلسل هذا الفن إلى الأدب الشعبي الذي نشأ على الهامش متفاعلاً مع التحولات الاجتماعية مستلهماً روح الشعب في رحلته المتموجة عبر دروب الحياة الوعرة فالآداب الشعبية والملحمة منها بالذات تتميز بالجاذبها نحو المجالات التاريخية والقومية للجماعة، والتاريخ الخاص بهذه الآداب يتشابك تماماً مع نشوء الدول القديمة، حيث ينتشر من خلال عملية تداخل الشعوب نفسها. حملة هذا الأدب. في مجرى نشوئها، ما يجعله مصطبغاً بالتفرد القومي والاهتمام الحميم بالمصير التاريخي للشعب، وتضمنه مفهوماً شعبياً شاعرياً لماضيه مفعماً بملاحم الحماسة والجمعية والقومية⁽¹⁸⁾

وهذا ما تجلّى في جملة الفنون ومن بينها المغازي التي يمكن اعتبارها شكلاً من أشكال الملحمة وذلك لما تنطوي عليه من خصائص وسمات متوكة على بعد أسطوري غني بتمثيلات رمزية متجاوزة مع روح الأمة. فالأساطير كما يرى أحد الباحثين، تأخذ في التطور ضمن مجتمعات فعلية ملموسة، مجتمعات معرضة للحروب والأزمات الداخلية، وفوق كل شيء العمل اليومي وقسوة الزمن⁽¹⁹⁾

ومن هنا يمكن القول أن أدب المغازي باعتباره أدب بطولة نشأ متناغماً مع الصراعات التي خاضتها الأمة الإسلامية، عبر رحلة طويلة وتحديات كبيرة واجهتها في مختلف مراحل تاريخها ابتداءً مما طرأ عليها من انقسامات وتمزقات أضعفتها فأصبحت عرضة للغزو المدمر الذي أنهك قواها وشتت شملها،

ولعل أوضح مثال على ذلك الغزو المغولي الذي زحف على الدولة العباسية، فأسقط العاصمة بغداد، وكان لهذا الغزو أثر نفسي بالغ نظراً لما للعاصمة بغداد من رمزية ولم يقف الغزو عند هذا الحد بل تعداه إلى فظائع وجرائم ارتكبت في حق المسلمين، وهناك أيضاً الحملة الصليبية التي امتدت عقوداً من الزمن وتركت آثاراً بالغة الخطورة على المسلمين وعمقت الخلاف العقائدي، ولانكون مبالغين إذا قلنا أن حركة الاستعمار الحديث لم تكن مقطوعة

الصلة بجذورها الصليبية وقد كان لهذا الموقف انعكاسات على العلاقة مع الآخر مازالت آثارها تحدد الرؤية وتلقي بظلالها على مختلف المناحي.

في هذا الجو المشحون ظهر أدب المغازي الذي يتمحور حول البطل الذي يعد صورة مثالية لما هو إنساني، ولهذا تلقى حكاية البطولة عناية في كل مكان، حيث يسعى الإنسان لتحقيق هذه الصورة المثالية خاصة في الأوساط الدينية⁽²⁰⁾

ولكن البطل في المغازي لم يتجاوز البعد الإنساني، لأن هذه المغازي استطاعت أن تحافظ على بعدها العقيدي الإسلامي، خلافا لأبطال الملاحم اليونانية الذين يصلون إلى عالم الآلهة⁽²¹⁾

من المعروف أن جل المغازي قد ارتبطت بشخصية الإمام علي، في بعدها الأسطوري، ولكن هذه الشخصية ظلت تتحرك ضمن الإطار الذي تحدده العقيدة الإسلامية، وقد تمكن الأديب من التوفيق بين متطلبات العقيدة الإسلامية، وعالم البطولة الخيالي ضمن توليفة غرائبية تنم عن قدرات فنية اشتغلت بعيدا عن الرقابة التي كانت تمارسها المؤسسة الثقافية عبر نظرياتها النقدية، وقد ظهر أدب المغازي في الثقافة الشعبية الجزائرية مرتبطا بفترة تاريخية بالغة الحساسية، حيث عرف انتشارا واسعا في الجزائر في فترة الاحتلال الفرنسي، وفي هذا الصدد يورد الأستاذ عبد الحميد بورايو رأيا للمستشرق الفرنسي (ج. دسبرمييه)، مفاده أن هذا الأدب ظهر عندما بدأت سيطرة المسلمين تنحسر وحدود بلادهم تتراجع أمام المد المسيحي قائلا : " منذ القرن الرابع عشر تقريبا وبالتحديد منذ أن بدأ الفتح العربي ينسحب أمام العودة الهجومية للمسيحية أنتجت أرض الإسلام أدبا يحمل اسم المغازي من نفس طبيعة الغزوات، يتحدث عنها وهو أدب مجهول بالنسبة لنا يختفي في التاريخ الأدبي تحت قناع اسم طموح ومستعار ويتمثل هدفه الوطني في إنقاذ ماء الوجه، والتذكير بالانتصارات الماضية لسيان الذل المعاش في الحاضر، وقد أنبت الغزو الفرنسي لهذا الجذع القديم لرواية الفروسية الإسلامية فرعاً جديداً⁽²²⁾

يبدو هذا الرأي على ما فيه من قسوة وتحامل وجيها، لأنه ينفذ إلى العمق النفسي القائم على الشعور الجمعي السلبي ويعكس فوق هذا استيعابا لطبيعة هذا الفن وتمثلا لأبعاده، إلا أن الأستاذ بورايو يرفض هذا التبرير القائم على اعتبار ظهور هذا اللون مجرد ردة فعل على ذل الهزيمة أمام الاستعمار معييا على هذا الرأي نظرتة الأحادية ذات الطبيعة الاستعمارية التي تنكر على أدب الشعوب دوره الإيجابي في المقاومة الثقافية والحفاظة على الهوية واستشراف المستقبل وصنعه⁽²³⁾ إضافة إلى أن هذا النوع يرتبط بجذور ترجع إلى ظهور الإسلام والتي ارتبطت في رحلته بالبطولة التي عن طريقها حقق المسلمون إنجازات كبيرة ضمنت لهم نفوذا واسعا في أرجاء العالم القديم، وقد وجدت هذه البطولات طريقها إلى التدوين من خلال أعمال أبان بن عثمان ومحمد بن اسحاق محمد بن عمر الواقدي وقد تضمنت أخبارا عن مغازي الرسول (ص) وانتصاراته.

المغازي في الشعر الشعبي الجزائري:

عبّرت المغازي عن نفسها في الشعر الشعبي الجزائري من خلال حلقات تنعقد في الأسواق، حيث كان الرواة المحترفون ينشدون تلك الأشعار مصحوبة بعزف على الناي في أغلب الأحوال متغنية ببطولات الإمام علي الخارقة، وقد استوحى ناظمو هذه الأشعار من قصص قديمة ظلت متداولة على مر الأزمان، وكنا قد أشرنا إلى هذه القصص التي ظهرت في فترات تاريخية متعاقبة، وأدخل عليها الرواة تحويلات انسجما مع طبيعة المرحلة وظروفها. ومن أشهر هذه القصص (غزوة سيسبان، خير، ذات العلم، الإمام علي والجن عطرفة، وقصة فتوح اليمن الكبرى الشهيرة برأس الغول)، والجدير بالذكر أن بعض هذه القصص ليست لها أي سند تاريخي، ماعدا قصة خير التي تستند على حادثة تاريخية وهي غزوة خير التي كانت في السنة السابعة للهجرة، ولكنها تقدم بوصفها تواريخ، وتظهر النزعة التاريخية واضحة في هذه المادة، فيحاولون أن يلبسوها ثوب الحقيقة فنجد فيها اهتماما بتحديد زمن حدوث الوقائع فيذكر إذا ما كانت حدثت في زمن النبي أو زمن أحد الخلفاء الراشدين الذين يُذكر اسمه كما تذكر أسماء المواضع وتحدد المسافات وتسمى الصحابة وأفراد عائلة الإمام علي والحكام الذين كانوا يحكمون المدن المفتوحة⁽²⁴⁾

وقد دار جدل بين الباحثين حول علاقة هذه القصص والأشعار بالتشيع، انطلاقا من أن المغرب العربي قد خضع في فترة زمنية لحكم الدولة الفاطمية التي كانت تتبع المذهب الشيعي الإسماعيلي، وسعى البعض إلى إيجاد أصول شيعية لهذا الفن إلا أن هذا الرأي ظل يفتقد لأي دليل، فالقصص تخلو تماما من أي صراع بين علي (رضي) وخصومه السياسيين، وكل الحروب التي خاضها كانت ضد الكفار، كما لا نجد ذلك الموقف السلبي من الصحابة، وذلك لأن النبرة السائدة في تقديم شخصيات الصحابة هي نبرة سنية بامتياز، ولم يكتف الشاعر الشعبي الجزائري بإعادة صياغة القصص شعرا، بل عمل على خلق عمل فني متجاوب مع السياق السياسي الذي كان يعيشه في فترة الاستعمار، ومن هنا راح يزواج بين التاريخ والخيال، حيث كان الشاعر يستحضر صور البطولة وعينه على واقعه المر، متصورا الإمام عليا وهو يقاتل الفرنسيين، ويندفع في إضفاء كل مظاهر القوة على البطل الذي يتمتع بقوة جبارة، حيث يضرب الإمام علي بسيفه ضربة واحدة، فيحصد رؤوس ألفين من الجنود وتتدخل القوى الخارقة المتمثلة في الجن والمردة لتقلب موازين المعارك⁽²⁵⁾ وساهم المنشد (المдах) في توسيع العالم الغرائبي لما يتيح من إمكانات تساهم في الوصول إلى المتلقي، وفي هذا الصدد يورد عبد الحميد بورايو رأيا لأحد الباحثين الجزائريين، يعبر من خلاله عن الوظيفة التي يؤديها خطاب المдах أثناء الحلقة حيث يقول: " إن المдах الذي يتفنن في أداء خطاب الغزوات، وهي قصص ذات طبيعة ملحمة تروي فتوحات المسلمين في عهد النبي، كاشفا عن قدرة كبيرة يتمتع بها كراو مغن مستعملا الإمكانيات التي يوفرها له هذا الفضاء المشهدي الخاص والمتمثل في

الحلقة، منطلقاً نحو احتلال الخيالي لجمهوره الذي سوف يبعث فيه الحماسة، يستحثه على إنتاج وتخزين صور انطلاقاً من استذكار انتصارات الأسلاف، ستسمح له هذه الصور الذهنية بالاستمرار في رفضه للاحتلال، والتمسك بالأمل وبإمكانية النصر⁽²⁶⁾ ومع ذلك يبقى هذا الخطاب بما يختزنه من خبرة جمالية وأفق، في حاجة إلى المزيد من الدراسة، ذلك لأن هذه الأشعار مازالت لم تستثمر بعد للوقوف على وجه إدراكها الجمالي للواقع وتفكيك الرموز التي تنخر بها.

الهوامش :

01. محمد حافظ دياب: نشوء الآداب الشعبية العربية الديناميات السوسيو- تاريخية، ضمن كتاب الأدب العربي تعبيره عن الوحدة والتنوع، مركز دراسات الوحدة العربية ط01، 1987، بيروت، لبنان، ص 289
02. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الفكر، بيروت، 247/2.
03. ورد هذا الحديث في كثير من مصادر السنة والشيعة.
04. كامل مصطفى الشبيسي، الصلة بين التصوف والتشيع، منشورات دار الجمل، بيروت، لبنان، ص 60.
05. صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، المجلد2، ص 175.
06. المصدر نفسه، ص 175.
07. كامل مصطفى الشبيسي، الصلة بين التصوف والتشيع (م.س)، ص 61.
08. ينظر: خليل عبد الكريم، شذو الرابة بأحوال مجتمع الصحابة، سبا للنشر، القاهرة، مصر، 147/2.
09. ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، مطبعة بولاق، مصر، 130/4.
10. ابن كثير، البداية والنهاية، دار المنابر، بيروت، لبنان، ط1، 2001، م4، ص 205.
11. المصدر نفسه، ص 206.
12. المسعودي، مروج الذهب (م.س)، ص 383
13. المسعودي، مروج الذهب (م.س)، ص 383.
14. هشام حعيط، الفتنة-جدلية الدين والسياسة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2008، م6، ص345.
15. القصص الشعبي، مغازي الإمام علي، مختارات خيرت عبد الجواد، منشورات دار الجمل، بيروت، 2010م، ص 10.
16. ابن كثير، البداية والنهاية (م.س)، ص 206.
17. القصص الشعبي، مغازي الإمام علي (م.س)، ص 99.

-
18. محمد حافظ دياب: مقال نشوء الآداب الشعبية العربية، ضمن كتاب جماعي الأدب العربي تعبيره عن الوحدة والتنوع (مرجع سابق) ص 293
19. ميشيل زيرافا : الأسطورة والرواية، تر صبحي حديدي، دار الحوار، ط01، 1985، سوريا ص08
20. فرديريش فون ديرلان : الحكاية الخرافية، تر: نبيلة إبراهيم وعز الدين اسماعيل، دار القلم، ط01، 1973، ص150
21. المرجع نفسه، ص 151
22. عبد الحميد بورايو : الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر (د.ط)، (د.ت) ص97 و98
23. المرجع نفسه، ص 98
24. المرجع نفسه ن ص 102
25. المرجع نفسه، والصفحة نفسها
26. نقلا عن عبد الحميد بورايو، المرجع نفسه، ص 104